سلسلة تفريغات

فريق موقع الآجري للتفريغ

(٠١)

تأملات في أعظم آية من كتاب الله

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

٠٢-٠٩-١٤٣٠هـ

أعد المادة سالم الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد،

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته...،

أيها الإخوة المستمعون.. هـٰذه تأمّلات ستكون بتوفيق الله حول أعظم آية من كتاب الله -عز وجل- آية الكرسي، وبيان وتدبر لمضامينها العظام ومعانيها الجليلة، وإيضاح لما اشتملت عليه من البراهين العظيمة والدلائل الواضحة والحجج الساطعة على تفرّد الله عز وجل بالجلال والكمال والعظمة وأنه سبحانه لا رب سواه ولا معبود بحق إلا هو تبارك اسمه وتعالى جده ولا إلـٰه غيره.

وهـٰذه الآية المباركة -أيها الإخوة المستمعون- لها شأن عظيم وقدر رفيع؛ إذ هي أعظم آي القرآن شأنًا، وأفضلها قدرا، وأرفعها مكانة، وليس في القرآن آية أعظم منها، فقد صح الحديث عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأنها أفضل آية في كتاب الله عز وجل.

روى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**»، قال: قلت: الله ورسوله أعظم؟ قال: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: الله لا إلـٰه إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري وقال: «**والله ليهنك العلم أبا المنذر**» أي هنيئا لك هـٰذا العلم الذي ساقه الله إليك ويسره لك ومنّ عليك به، وأقسم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على ذلك بالله -تعالى- تعلية لهـٰذا الشأن وتفخيما لهـٰذا المرام.

أيها الإخوة الكرام.. هـٰذا الحديث يدلّ على أن هـٰذه الآيات المباركة هي أعظم آية في كتاب الله عز وجل، وقوله: «**أعظم**» أفعل تفضيل، وهـٰذا يدلّنا على آيات القرآن الكريم وسوره متفاضلة، لا باعتبار من تكلم به، فالمتكلم به هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ ولكنها متفاضلة باعتبار ألفاظه ومعانيه، باعتباره ألفاظه المشتملة على المعاني، وباعتبار المعاني التي دلت عليها الألفاظ.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ومعلوم أن كلامه الذي يثني به على نفسه ويذكر فيه أوصافه وتوحيده، أفضل من كلامه الذي يذم به أعداءه ويذكر أوصافهم. ولهـٰذا كانت سورة الإخلاص أفضل من سورة تبت، وكانت تعدل ثلث القرآن دونها، وكانت آية الكرسي أعظم آية في القرآن الكريم. انتهى كلامه رحمه الله.

أيها الإخوة المستمعون.. وهـٰذا باب من الفقه ينبغي على المسلم وطالب العلم أن يُرعيه اهتمامه وعنايته حتى يزداد حبه للتوحيد الذي هو أعظم شيء في القرآن، وحتى تزداد مكانة التوحيد في قلبه ومنزلته في نفسه، كما هو الشأن في الصحابة الكريم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وأرضاهم-.

وإذا تأملنا -أيها الإخوة- ندرك شدة حاجتنا وعظم افتقارنا لعلم التوحيد الذي طالما قصّر كثير الناس في العناية به والاهتمام به، فكم هي الحاجة ماسّة لكل مسلم أن يُعنى في حياته بهٰذا التوحيد الذي هو أعظم شيء في هٰذه الحياة؛ بل ليس في هٰذه الحياة شيء أعظم منه، ولهٰذا فإن من أعظم الخسران وأكبر الحرمان أن يدخل الإنسان هٰذه الحياة الدنيا ثم يخرج منها ويفارقها دون أن يذوق أعظم شيء فيها وهو توحيد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

ومن هنا ندرك حسن فقه أبيّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه لما سأله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هٰذا السؤال، ذهب في في بحثه إلى الآية التي أخلصت لبيان أعظم شيء في القرآن وهو التوحيد، وتقرير دلائله، وذكر عظمة الرب وكماله، وأنه المستحق وحده للعبادة دون سواه.

وهٰذا من كمال فقهه وفهمه، فلم يذكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- آية في بيان الآداب الحميدة، أو الأحكام الفقهية، أو أخبار الأمم السابقة وقصص الأولين، أو ما يكون بعد الموت من أهوال يوم القيامة ونحو ذلك.. وإنما اختار آية التوحيد التي أخلصت لبيانه وأفردت لتقريره.

ولك -أيها المستمع- أن تتأمل هنا لتدرك هٰذا الفقه أن أبيّا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لم يختر هٰذه الآية من بين عشر آيات أو عشرين أو مائة آية أو مائتين، وإنما اختارها من بين آي القرآن كله، وآياته تزيد عن ستة آلاف آية، فهٰذا فقه عظيم جدا.

ولك أيضا أن تتأمل لتدرك كمال فقهه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه لم تكن إجابته على هٰذا السؤال بعد مهلة زمنية واسعة إنما أجاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في الوقفة نفسها بعد أن أعاد عليه الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- السؤال فاتجه ذهنه رأسًا إلى آيات التوحيد فقال: آية الكرسي. أي أن هٰذه الآية هي أعظم آية في القرآن الكريم.

وقد كان نظر أبيّا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في اختيار آية الكرسي عميقا ودقيقا، وهو دال على عظم شأن التوحيد في قلوب الصحابة.

نظير هٰذا ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فكان يختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمٰن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((**أخبروه أن الله يحبه**)).

وروى البخاري في صحيحه معلقا من رواية أنس بن مالك -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ووصله الترمذي قصة رجل من الأنصار كان يصلي بالناس في مسجد قباء، وكان يلزم سورة الإخلاص في كل ركعة، فسأله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن ذلك فقال: إني أحبها. فقال: «**حبك إياها أدخلك الجنة**» فانظر أخي المستمع، لهٰذا الفقه يكررها ويداوم على قراءتها لكونها مشتملة على صفة الرحمٰن، وهو يحبها، وهٰذا يدل على عظم مكانة آيات التوحيد في قلوب الصحابة وكمال فقههم، ويدلّ على فهمهم لآيات التوحيد فهما تتقاصر عنه أفهام من بعدهم وعقول من سواهم.

وانظر إلى هٰذا الفهم السديد الذي توصل إليه أبيّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في اختياره لآية التوحيد وتهنئة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- له على هٰذا العلم المبارك.

قال ابن القيم رحمه الله: وقد بشّر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الرّجل الذي يحب سورة الإخلاص، وقال: أحبها لأنها صفة الرحمٰن عز وجل ، فقال: ((**حبك إياها أدخلك الجنة**)) وفي لفظ آخر ((**أخبروه أن الله يحبه**)) فدلّ على أن من أحب صفات الله أحبه الله وأدخله الجنة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهٰذا يقتضي أن ما كان صفة لله من الآيات إنه يستحب قراءته، والله يحب ذلك ويحب من يحب ذلك. وهٰذا فيه فائدة أن حبّ آيات الصفات وآيات التوحيد تنال بهما محبة الله وجنته، وفي هٰذا دلالة على أن آيات التوحيد تقود الإنسان إلى كل فضيلة وإلى كل رفعة في الدنيا والآخرة، كيف لا وهي الأساس الذي عليه قيام هٰذا الدين.

وبهذا نصل إلى تمام هٰذه الحلقة، وإلى لقاء آخر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...